وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآنية
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

جمال تكريم إنسانية المرأة في هدايات القرآن

اسم الباحث/ـة

د/ فوزية صالح الحنايا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد: كثر في الساحة الثقافية الحديث عن كيان المرأة، وكانت بين طرفين ووسط، فطائفة تتبنى توريث عاداتٍ نمطيةٍ، فيها حقٌ وباطلٌ، تتمسك بجهلٍ بولاية الرجل على المرأة، فتعطي الرجل حقوقاً بلا واجباتٍ، وتلزم المرأة بواجباتٍ بلا حقوقٍ، مهيئةً المجتمع لمظاهر ظلمٍ للمرأة لا حصر لها، وفي مقابل ذلك طائفةٌ تتبنى مساواة المرأة بالرجل في الحقوق والواجبات، مطالبة بحقوق المرأة، رافضةً الاختلافات الفطرية والشرعية بين المرأة والرجل، مهيئةً المجتمع لمستنقعٍ منفلتٍ من الفضيلة، واصفةً من يخالفها بالتخلف والرجعية، وعدم مراعاة مشاعر المرأة وحقوقها.

ومن هنا جاءت أهمية بحث (**جمال تكريم إنسانية المرأة في هدايات القرآن**)، ليسلط الضوء على جمال هدايات القرآن في بناء إنسانية المرأة، وجماليات التعابير القرآنية التي تراعي أدق المشاعر الإنسانية، ليظهر للقارئ جمال القرآن وجلاله وكماله، وليكون كما أراد الله نبراساً ينير للبشرية حياتها برحمةٍ وذوقٍ وتألقٍ. وسوف تسعى الباحثة في اتباع المنهج العلمي الوصفي والاستقرائي في سبر هدايات القرآن على ضوء أهداف البحث، وسوف يتكون البحث من العناصر التالية:

مقدمة. ثم مدخل.

الفصل الأول: جمال تكريم إنسانية المرأة بوجه عام

الفصل الثاني: جمال تكريم إنسانية المرأة بنتاً وأختاً.

الفصل الثالث: جمال تكريم إنسانية المرأة زوجةً.

الفصل الرابع: جمال تكريم إنسانية المرأة أماً.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات

المدخل

–تعريف الجَمال: لغة: قال بن منظور: (والجَمَال: مَصْدَرُ الجَمِيل، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ)؛ أَي بَهَاءٌ وَحُسْن، وقال ابْنُ سِيدَه: الجَمَال: الْحُسْنُ يَكُونُ فِي الْفِعْلِ والخَلْق، قَالَ ابْنُ الأَثير: والجَمَال يَقَعُ عَلَى الصُّوَر وَالْمَعَانِي؛ وَمِنْهُ الحديث: (إِن اللَّهَ جَمِيل يُحِبُّ الجَمَال)[1]، أَي: حَسَن الأَفعال كامل الأَوصاف)[2]

والجمال المعنوي موجود في الأقوال الحسنة، والألفاظ الطيبة، قال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

–علم الجمال عند الغرب:

يعود مفهوم الجمال والحسن عند (أرسطو) إلى التنسيق والعظمة، وعند (كانت) إلى الارتباط بالمنفعة، وعند (شوبنهاور) إلى ما يبعث السرور والسعادة، وعند (شارل لالو) إلى ما يحسّه العقل، ويقدّره الذوق من الانسجام، ورأى آخرون أنّه يعود إلى الكمال، وفي عام ١٧٥٠م أطلق (ألكسندر بومجارتن) اسم (علم الجمال) على" الأبحاث التي تدور حول التجربة الفنية"، واعتبروه من أحدث فروع الفلسفة، ثم ظهر مصطلح (الجماليات)، الذي يبحث في "الجمال، وفي الإحساس الذي يتولد عنه[3].

–جمال القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو كلام الله الحق الخالد الذي أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير. وهو معجزة الله في كلماته وتركيب أسلوبه وفي تشريعه

---

[1] وأخرجه مسلم، ٩١.

[2] لسان العرب؛ ١١/١٢٦، لابن منظور، وينظر: والقاموس المحيط ٢/٥١٥، للفيروز آبادي، ومختار الصحاح؛ ص ٩٨، للرازي.

[3] ينظر: علم الجمال؛ ص٣٥ و١٠٨، لغازي الخالدي، ومقدّمة في علم الجَمال؛ ص٢٠ ، لأميرة حلمي مطر، والمعجم المفصّل في الأدب؛ ١/٣٢٠، لمحمد التونجي.

وأحكامه، تحدى الله بها فحول البلاغة وأساطين البيان، فعجزوا عن الإتيان بسورة من مثله، فخروا ساجدين لجماله وجلاله، وإعجازه، وكمال بيانه وإحكامه.

والقرآن مقصود من نزوله أن يكون هداية للإنسان، فهو منهج وتشريع وأحكام وهداية ونور، وهو كتاب بلغ الغاية في حسن بيانه وجلالة ألفاظه وحبك جمله وقوة تأثيره فهو بحق أبلغ كتاب عرفته الدنيا، وفخر للإنسانية.

ويشير ابن كثير رحمه الله إلى أن وجوه إعجاز القرآن تشمل اللفظ والمعنى، قال الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، فأحكمت ألفاظه وفصلت معانيه، فكل لفظ فيه فهو فصيح لا يحاذى ولا يدانى، وكل معنى فيه فهو صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأحكام، فكله حق وهدى(١).

ويفصل القرطبي رحمه الله أوجه إعجاز القرآن فيقول: «**أولها**: النظم البديع لكل نظم معهود في لسان العرب، **وثانيها**: الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب، **وثالثها**: الجزالة التي لا تصح أن تنسب لمخلوق،

وهذه الثلاث: النظم والأسلوب والجزالة، لازمة كل سورة، بل في كل آية، وبمجموع هذه الثلاث يتميز مسموع القرآن عن سائر كلام البشر، وبها وقع التحدي والتعجيز، فكيف إذا انضاف إليها أمور معجزة أخرى من العلم النافع والنور والهدى والبيان الذي به قوام الأنام وصلاحهم وسعادتهم(٢).

ويشير الماوردي رحمه الله إلى وجه من وجوه إعجاز القرآن فيقول: «بلاغة القرآن حيث ألفاظه يسيرة كثيرة المعاني(٣)،

(١) تفسير ابن كثير، ٥٨/١، بتصرف.

(٢)الجامع لأحكام القرآن، ٧٣/١، بتصرف.

(٣) النكت والعيون، ٣٠/١.

ويبيَّن عبد الله دراز رحمه الله أن عظمة أسلوب القرآن في أربعة أمور هي:

١. القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى.

٢. خطاب العامة وخطاب الخاصة.

٣. إقناع العقل وإمتاع العاطفة".

٤. البيان والإجمال (١).

-تكريم المرأة في هدايات القران الكريم:

نالت المرأة تكريماً عظيماً في شريعة الله الخالدة وقد تجلى هذا التكريم في السمات التالية:

١. تكريم رباني: وذلك أن الله الذي خلق المرأة شرع لها منهاجاً مفصلاً، يتطابق مع فطرتها وحاجاتها، ويوفيها حقها، ويجعلها تعيش حياة سوية، تغذي عقلها، وتشبع مشاعرها، وتحمي أحاسيسها. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَاسِ لاَ يَعْلَمُون﴾[الروم:٣٠].

٢. تكريم مثالي: شريعة الله هي الغاية في الكمال، تصلح دنيا المرأة وتسعدها، وتهيئها للفوز في الآخرة بجنات النعيم قال تعال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون﴾ [النحل:٩٧]، تشريع يأمر بالعدل والإحسان، ويفتح أبواب للفضل وكرم الأخلاق، ويحث على حسن التعامل، ليبني مجتمع في قمة الجمال والأخلاق، بنظام تشريعي لا تعرف له البشرية شبيه، ولا مثيل.

٣. تكريم واقعي: ومع كمال تشريعه فهو تشريع واقعي يراعي واقع المرأة وإنسانيتها، وما ينتابها من عوارض ومن يعتريها من قصور أو ظروف حياتية.

(١) ينظر تفصيل ذلك في كتابه (النبأ العظيم)، ص ١٤٣- ١٥٢.

٤. **تكريم تكاملي:** فهو شرع متكامل، فالحدود شرعية متكاملة مع العلاقات الاجتماعية لا تنفك عنها، منظمة معها في غاية التناسق والتكامل، فمثلاً يمنح لولي المرأة القوامة يلزمه بالنفقة عليها ويلزمه بالقيام بواجب حمايتها، وحينما يمنح الذكر مثل حظ الانثيين (في بعض حالات الورث)، فإنه يلزم الرجل على كل حال بالنفقة على من تحت يده، ويلزمه بدفع المهر لتأخذه المرأة كاملاً خالصاً لها، وتعفي المرأة من أي تبعات مالية لا قبل الزواج ولا بعده، إلا في زكاة مالها إن كان لها مال زكوي.

-جمال تكريم إنسانية المرأة في هدايات القرآن:

ولما كان تكريم إنسانية المرأة بهذا القدر والجمال في هدايات القرآن فإن البحث سيسلط الضوء على جمال هدايات القرآن في تكريم إنسانية المرأة، وجماليات التعابير القرآنية التي تراعي أدق المشاعر الإنسانية، ليظهر للقارئ الكريم جمال القرآن وجلاله وكماله، وليكون كما أراد الله نبراساً ينير للبشرية حياتها برحمةٍ وجمالٍ وتألقٍ.

أهمية البحث:

١. وجود اتجاه يقدس العادات يتبنى توريث عاداتٍ نمطيةٍ، فيها حقٌ وباطلٌ، تتمسك بجهلٍ بولاية الرجل على المرأة، فتعطيه حقوقاً بلا واجباتٍ، وتلزم المرأة بواجباتٍ بلا حقوقٍ.

وفي مقابله طائفةٌ تتبنى مساواة المرأة بالرجل في الحقوق والواجبات، مطالبة بحقوق المرأة، رافضةً الاختلافات الفطرية والشرعية بين المرأة والرجل، واصفةً من يخالفها بالتخلف والرجعية، فصار الحق منزوع الجمال في أعين كثير من النساء وخاصة الفتيات، وصار الانحراف عن الشرع متزينةً بالجمال زوراً وبهتاناً، فكان لابد من إظهار جمال التشريع الإلهي وبيان حسنه وبهائه.

٢. البشرية في حاجة إلى إبراز جمال التشريع القرآني فيما يخص المرأة، ولا عجب أن يكون أكثر الداخلين في الإسلام من النساء.

سبب اختياره:

١. كثرت البحوث والمقالات العلمية التي تظهر حدود الشريعة وضوابطها، أو تحث على الالتزام بها، دون الوقوف على جمالها.

٢. لما كان القرآن معجزاً في ألفاظه وأساليبه مع أعجاز تشريعاته وجدته منطلقاً لإظهار جمال الشريعة في تكريم إنسانية المرأة.

٣. قلة البحوث العلمية التي تظهر جمال تكريم المرأة في هدايات القرآن.

–منهج البحث:

سأتخذ المنهج الاستقرائي للبحث عن مواطن الذوق والجمال في الآيات القرآنية المتعلقة بتكريم إنسانية المرأة.

وسأتخذ المنهج التحليلي في استخراج جماليات تلك الآيات وما فيه من دلائل الذوق والبيان والجمال، مستعينة بالله ثم بأقوال علماء التفسير وخاصة الذي عنوا بأوجه البلاغة وبيان أوجه الإعجاز التشريعي والبلاغي في القرآن.

جمال تكريم إنسانية المرأة من خلال هدايات القرآن الكريم

الفصل الأول: جمال تكريم إنسانية المرأة بوجه عام.

أولاً: ذكر المرأة في أصل خلق بني آدم:

قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١]، وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير﴾[الحجرات:١٣]

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١- كرم الله أمنا حواء حيث خلقها الله من الرجل، فكل ما فيها من صفات فهي مأخوذة من الرجل، فهي بضعة منه، فالرجل يحنُّ لبعضه، والمرأة تحنُّ لأصلها. (ذكر سبحانه أن الذكر والأنثى خُلِقا من نفسٍ واحدة، فأصبح بذلك كلٌ منهما قريناً للآخر، وهذا هو مفهوم الزوجية)[١]

٢- من تكريم المرأة وبيان فضلها أنَّ كل مولد من البشر ذكراً كان أو أنثى فقد نفخت فيه الروح وهو في بطن أمه، وخرج من رحم أنثى.

٣- تعظيم شأن المرأة وأنها صنو الرجل، وإن الكرامة عند الله إنما تنال بالتقوى، حتى قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: (والله إن كنّا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل)[٢]

ثانياً: ذكر أنصبة المرأة من الورث:

قال الله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ النساء آية ٧.

---

[١] سيماء الانوثة، مجموعة إيوان، ط١.

[٢] اخرجه البخاري، (٤٦٢٩).

قال الله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ) النساء آية ١١. قال الله تعالى ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوَاْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَلِيم﴾[النساء:١٢].

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١- كرم المرأة بأن جعل لها نصيب في التركة خلافاً لرسوم الجاهلية التي كانت تمنع المرأة من الإرث، أو تقتصر على إرث المال دون إرث العقار، (أفرد سبحانه ذكر النساء بعد ذكر الرجال على الاستقلال لأجل الاعتناء بأمرهن، وللإيذان بأصالتهنّ في استحقاق الإرث، وللمبالغة في إبطال ما عليه الجاهلية)(١)

٢- كرمت المرأة بعد نزول القرآن، فقد (كانت المرأة في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام محرومة من كثير من حقوقها عرضة للظلم والضيم تؤكل حقوقها وتحرم من الإرث وتبتز أموالها، وتهان كرامتها فكانت تورث كما يورث المتاع والدابة، وتعضل بعد الطلاق أو وفاة الزوج من أن تنكح زوجا ترضاه حتى جاء الإسلام فرفع من شأنها وأنزل فيه أمره وقسم لهن ما قسم من الحقوق)(٢).

(١) فتح البيان للقنوجي، ٢/١٢٠.

(٢) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص١٥٢.

٣- من تكريم الله للمرأة تنوع إرثها بحسب مكانتها، فمرة لها الثلث، ومرة لها الربع، ومرة لها السدس، ومرة تشترك مع الأخوة للذكر مثل حظ الأنثيين.

٤- من تكريم المرأة أن جعل لها في بعض الأحوال: نصف نصيب الأخ، دون تكون لها تبعات قائمة أو قادمة، وأما الأخ فهو قائم على نفقة نفسه، وعلى نفقة من يعول قوامة مالية، وسيكون مطالباً بدفع المهر عند الزواج، (فالذي يميز هذا المعيار: أن هذا التفاوت مبنياً على المسؤولية المالية الواجبة على الرجل تجاه الأنثى، وليس مبيناً على جنس الرجل)(١).

ثالثاً: ذكر تساوي الذكر والأنثى في أجور الأعمال الصالحة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[النساء:١٢٤]،

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[آل عمران:١٩٥]،

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[النحل:٩٧]،

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٣٥].

(١) أنثى تشكر الإسلام، ص ١١٢.

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١- أكرم الله أم سلمة رضي الله عنها، حيين كانت أَوَّلُ ظَعِينَةٍ قَدمت عَلَى المدينة(١)،

وذلك حين قالت :يا رسول الله، لا أَسْمَعُ الله ذكَر النساء في الهجرة بشيء،

٢- فأَنزَلها الله قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾(٢).

٣- كرم الله المرأة في قوله ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ وذلك بمَعْنَى أن شَأْنَكمْ وَاحِدٌ وَأَمْرَكم سَوَاء، وَقَدْ حَمَلَهَا جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى مَعْنَى: أَنَّ نِسَاءَكُمْ وَرِجَالَكُمْ يَجْمَعُهُمْ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَكُلٌّ قَائِمٌ بِمَا لَوْ لَمْ يَقُمْ بِهِ لَضَاعَتْ مَصْلَحَةُ الْآخَرِ، فَلَا جَرَمَ أَنْ كَانُوا سَوَاءً فِي تَحْقِيقِ وَعْدِ اللَّهِ لهم، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ أَعْمَالُهُمْ وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾[النساء:٣٢]،

أَيْ أَنْتُمْ فِي عِنَايَتِي بِأَعْمَالِكُمْ سَوَاءٌ، وَهُوَ قَضَاءٌ لِحَقِّ مَا لَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُتَسَاوِينَ فِيهَا(٣).

٤- مدار التكريم عند الله بين الذكر والأنثى عند الله في الدار الآخرة ليس مداره الجنس، وإنما أساسه هو العمل الصالح..

---

(١) تفسير ابن كثير،٢/١٩٠.

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (٦/٣٢٠)، والترمذي (٣٠٢٣)، والطبراني (٦٥١)، والواحدي في أسباب النزول ص ١٠٣.

(٣) التحرير والتنوير، ٤/٢٠٣.

الفصل الثاني: جمال تكريم إنسانية المرأة بنتاً وأختاً.

أولاً: ذكر ما يُرزق الإنسان من الذرية:

قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُور أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِير﴾[الشورى:٥٠].

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١- من كرامة الله للمرأة أن ذكر أن ذرية الإنسان من ذكر أو أنثى هبة كريمة من الله عظيمة، لا يعرف قدرها إلا من فقدها.

٢- وتكريم الله لجنس الأنثى أنه بدأ بالأنثى قبل الذكر: رفعةً لشأنها، ورداً لاعتبارها، وإغاضةً من يتنقص من شأنها(١).

ثانياً: ذكر ما صنعته أخت موسى عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُون﴾ [القصص:١٢].

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١- تكريم مقام الأخت حين ذكر ما قامت به لشأن أخيها موسى وحرصها عليه.

٢- تكريم المرأة حين أشاد الله بحسن تصرفها، وحسن ما قالته، مما يبين على حسن منطق المرأة وحسن تدبيرها.

---

(١) ولذلك كان من عظم فضل من أحسن شكر هذه النعمة، وقام بتربية بناته تربية صالحة وجبت له الجنة، قال ﷺ: (من كان له ثلاث بنات يؤدبهن ويكفيهن ويرحمهن فقد وجبت له الجنة، فقال: رجل من القوم، واثنتين يا رسول الله؟ قال: واثنتين)، رواه أحمد ٣/ ٩٨، والبخاري في الأدب المفرد، ٧٦، وحسن الألباني، السلسلة الصحيحة ١٠٢٧.

ثالثاً: ذكر ابنتي صاحب مدين:

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[القصص:٢٦].

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١- الإشادة بعزة المرأة وكرامتها، وأن البنتين تركتا مشاركة الرجال ومزاحمتهم، مع شديد الحاجة وقلة ذات اليد.

٢- الثناء على حياء المرأة، وأنها تزداد كمالاً كلما ازداد حيائها.

٣- رجاحة عقل المرأة، حين قالت: ﴿يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦]، فأصبحت حكمة تتناقلها الألسن أعجاباً بها، وقاعدة لا يخلو مجتمع إنساني إلا ويعمل بها.

رابعاً: ذكر نفي أن تكون الملائكة بنات الله:

قال الله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ وَجَعَلُوا الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:١٩].

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

- في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[الزخرف:١٨]،

من صيانة جناب المرأة، وإكرامها، ما يعجز عنه بلغاء البشر، حيث كان المقام تنزيه الله أن تُلحق به البنات، فعاب عليهم ربه أنهم يكرهون التبشر بولادتهن، ويغتاظون من نسبت البنات لهم، ولا يبالون أن ينسبونهنَّ لربهم، وحين جاءت المقارنة بما اختاروه لأنفسهم من الولد، وما رضوا نسبته لربهم، ذكر الله البنت بوصفها، فكان وصفاً يَفي بالغرض في حال المقارنة، دون أن يمس كرامة كل بنتٍ تسمعه، أو بمقام امرأة تتلوه، فسبحان من أدهش بكلامه البلغاء، وحج به العقلاء.

خامساً: ذكر شناعة قتل البنات خشية الفقر:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام:١٥١]، وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خطئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٣١]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَت بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَت﴾ [التكوير:٩]

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

-من تكريم الله لجنس المرأة، أن الله ذكر أنه يوم القيامة سوف يسأل عن سؤال استنكار وتقبيح: بأي ذنب قتلت؟ وإكراماً للبنات، ورفع شأنهن، ومنع النفوس من مبدأ التفكير في هذا المزلق، حيث كان قتل الأبناء ظاهرة في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام، خشية الفقر والإملاق(١).

سادساً: ذكر شناعة استحياء النساء للبغاء، وقضاء شهوات الرجال:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيم﴾ [البقرة:٤٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ

(١) ربما كان في جاهلية العرب من يأد البنات خوفاً على نفسه من العار الذي يلحقه إذا انتهك عرضها، إذا غاب عنها، ولم تجد من يحميها.

عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٤].

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١- جعل الله من سوء العذاب والإفساد العظيم، استبقاء النساء لقصد التمتع بأجسادهن وانتهاك أعراضهنَّ، وجعلهنَّ دمى لقضاء الشهوات(١).

٢- من نعم الله العظيمة على بني إسرائيل أن أزال عنهم مصيبتين:

- قتل أولادهم.
- استبقاء نسائهم للبغاء.

٣- أن كرامة المرأة ليس أن تعيش جسداً بلا روح، بل كرامتها أن تكون بنتاً مصانة، وأختاً كريمةً، وزوجة وفية، وأماً مقدسة.

٤- الجاهليات الغابرة كانت تستحي النساء بغايا بعد غلبة الجيوش، وقتل الرجال.

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ١/٤٩٣.

الفصل الثالث: جمال تكريم إنسانية المرأة زوجةً.

أولاً: ذكر زوجة أدم عليهم السلام:

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الأعراف:٢٣].

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١- مشاركة (حواء) زوجها شرف التكريم بدخول الجنة.

٢- لم يفرد ذكر حواء بالمخالفة بأكل الشجرة، ولم تجعل هي السبب في الغواية.

ثانياً: ذكر زوجة إبراهيم عليهما السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوب قَالَتْ يَاوَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيب قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيد﴾[هود:٧٣].

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١-أن الملائكة بشرت زوجة إبراهيم بالولد.

٢-الدعاء لها ولزوجها بالبركة.

٣-الإشادة بالمرأة الصالحة حين تشارك زوجها همومه، وإكرام أضيافه.

رابعاً: ذكر زوجة فرعون عليها السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[التحريم:١١].

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١-رفع الله شان زوجة فرعون،

٢-أصبحت المرأة المؤمنة الصابرة مثلاً عاماً للمؤمنين.

٣-الإشادة بمحافظ المرأة على كرامتها ودين برغم صعوبة الظروف.

خامساً: ذكر زوجات النبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٢٩]. وقال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١-تخيير النبي ﷺ لنسائه وترك لهن حرية الاختيار.

٢- رفعة زوجاته رضي الله عنهن حين اخترنا رسول الله، وسلامتهن من الإثم، ونجاتهن من التعرض لسخط الله ورسوله.

٣-أظهر هذا التخيير رفعتهنَّ، وعلو درجتهنَّ، وبيان علو هممهنَّ، أن كان الله ورسوله والدار الآخرة، مرادهنَّ ومقصودهنَّ، دون الدنيا وحطامها.

٤- أراد الله أن تكون نساؤه كاملات مكملات، طيبات مطيبات ﴿الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور:٢٦].

سادساً: ذكر سماع الله لكلام امرأة تشتكي زوجها:

عن عائشة قالت: جاءت خولة بنت ثعلبة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت، يخفى علي بعضه فما أسمع ما تقول، تجادل في زوجها أوس بن الصامت تقول: يا رسول الله، أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني،

اللهم إني أشكو إليك ، فما برحت حتى نزل قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١](١).

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١- عناية الله بشكوى المرأة، والاستماع إليها.

٢- في آيات الظهار صيانة لجناب المرأة، وترهيب الأزواج من التساهل في الكلام الذي يذهب بحق الزوجة، أو يعنتها، وأنه يترتب على ذلك كفارات وعقوبات الزاجرة.

سابعاً: ذكر عظم ميثاق عقد الزواج:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِينا وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[النساء:٢١].

وقوله ﴿وَءَاتُوا ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحلة﴾[النساء:٤]،

(١) البخاري تعليقا (٧٣٨٥)، ورواه موصولاً النسائي، الكبرى (١١٥٧٠)، وابن ماجة برقم (١٨٨)، والطبري (٥/٢٨).

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١-كرامة المرأة باستحواذها على مهر للمرأة كاملاً تأخذه بطيب نفس وبلا منَّة[١]

٢-تعزيز مكانة المرأة وقيمتها لدى من يتقدم لها.

٣- الميثاق الغليظ عند عقد زوجها، وذلك ليكون مجلاً لأمر نكاحها، ومجلاً لحسن عشرتها[٢]

ثامناً: ذكر شأن العلاقة بين الزوجين:

قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[النساء:٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيم﴾[البقرة:٢٢٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[الأعراف:١٨٩]، وقال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ[٣] إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[البقرة:١٨٧].وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ[٤] وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة:٢٢٣]

---

(١) التفسير الطبري ٥٥٣/٧.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير، ٢٤٥/٢، وتفسير ابن جزي، ١٨٤/١.

(٣)والرفث: كنايةٌ عن الجماع، تفسير القرطبي، ٤٠٧/٢، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (إن الله حيي كريم يعف، يكني عن الجماع)، المسالك في شرح موطأ مالك، ١٨٢/٢

(٤) اعتزلوهن في مكان المحيض، وزمانه.

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١. تكريم المرأة بقيام الرّجالِ عَلى النِّساءِ بحفظ قوام الأسرة، ورعايتها، والنفقة عليها[١]، وتفرغ بالها نفسياً وعملياً من كل ذلك، وتفرغها لراعية شؤون بيتها وراعية أطفالهما كما دل على ذلك حديث:

(كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته)[٢].

٢. تكريم المرأة بوصف علاقة الزوج بها بقوله ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[الأعراف:١٨٩]، ؛لأجل أن يأنس إليها ويطمئن بها، بخلاف التعبير: بـ (ليسكن معها)[٣].

٣. تكريم المرأة بوصف العلاقة بين الزوجين بقوله: ﴿نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[البقرة:١٨٧]،

كناية عن اختلاط بعضكم ببعض كاختلاط الثوب بالبدن، وعن القرب والإحساس المتبادل، وأن يكون الواحد ستر وزينة للآخر، وهذ تعبير يختصر معاني دقيقة وعميقة في وصف رابطة العلاقة الزوجية، إذا لا شيء أقرب وألصق لجسد الانسان من الثوب الذي يلبسه[٤].

٤. إكرام المرأة بترتيب مراتب تأديبها إذا هي خالفت أمر زوجها ونشزت، فيبدأ الزوج أولاً بوعظها، وفي ذلك فيه: بيان ما يرضاه منها، وما لا يرضاه، وتذكيرها بالله، فلا يكون التأديب غضباً لأمر لا يرضاه الله، ولا انتقاماً لنفسه، فإن لم يجد ذلك في رده لطاعته، فينتقل إلى المرتبة الثانية فيستعمل الهجر في المضجع، وهو ترك جماعها فقط، دون أن يترك الفراش، فلا يبيت خارج منزلها

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٣٨/٥، وتسوية المرأة بالرجل، ص ٧٠.

(٢) قال ﷺ: (كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته، والأمير راعٍ، والرجل راعٍ على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولدِه، فكلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيَّتِه) رواه البخاري، ٢٤٤٥، ومسلم، ١٨٢٩.

(٣) فتح البيان، ١٥٠/١.

(٤) أيسر التفاسير أبو بكر الجزائري، ٦٦/١.

ولا حتى خارج غرفة نومها، وإنما يدير ظهره لها في مضجعها، فإن لم يجد ذلك فينتقل إلى المرتبة الثالثة وهي العقوبة البدنية، فيكون الضرب ضربَ تأديبٍ وعتابٍ، لا ضرب قهرٍ وتعذيبٍ، فيكون بسواكٍ ونحوه في غير وجه، ودون أن يترك أثراً وعوق كجرحٍ ونحوه.

فأنظر كيف صانت تلك الحدود المرأة وحفظتها، حتى صار المجتمع المسلم مضرب المثل في قلة العنف الأسري، وانخفاض حاد لنسب التعدي على الزوجات بالضرب أو القتل، على خلاف المجتمعات الأخرى الذي تضج فيه المحاكم بقضايا جرائم تعدي الأزواج، وذلك بنسبٍ مخيفة.

تاسعاً: ذكر ما فرضه على الزوج من الحدود:

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[النور:٣٠]، وقال تعالى : ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾[النساء:٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلا﴾[الإسراء:٣٢]،

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾[النساء:٣].

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١. وجوب غض الرجل بصره عن غير محارمه(١).

٢. سد أبواب افتتان الرجال بالنساء(٢).

٣. تحريم الزنا، وتغليظ عقوبته على المتزوج.

---

(١) مع وجوب احتجاب المرأة عن الرجال الأجانب.

(٢) وفي السنة تحريم خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية، وحرمة سفر المرأة بلا محرم.

٤. جاء سياق إباحة تعدد الزوجات في معرض الحاجة، وتقييده بشرط القدرة المالية، والعدل.

عاشراً: ذكر ما جاء في شأن الطلاق:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[النساء:٣٥]. وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾[الطلاق:١]، وقوله تعالى: ﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ﴾[البقرة:٢٣٧]، وقال تعالى: ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ . . .تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[البقرة:٢٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾[البقرة:٢٣١]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ [١] أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٣٢]، وقال تعالى: ﴿لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا . . . فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن

[١] أي: أيها الأولياء لا تمنعهن من مراجعة أزواجهن.

تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾[البقرة:٢٣٣]، وقوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولاَتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾[الطلاق:٦].

وفي هذا من أجه التكريم ما يلي:

١-تكريم المرأة بتضييق دائرة الطلاق على الزوج، فلا يقدم عليه حتى يبذل الزوج وولي المرأة الأسباب الكافية للإصلاح بينهم.

٢-تكريم المرأة في استحقاقها للمهر كاملاً إذا طلقها زوجها بعد الدخول بها، وإن كان قبل الدخول عليها، فلها نصف المهر، وإن كان قبل الدخول بها وقبل أخذها للمهر فلا حق لها في شيء منه.

٣-تكريم المرأة أن يكون إقامة الطلاق على ما وضعه الله من حدود الله، وما أمر الله به من إحصاء العدة وضبطها، فليست كلمة الطلاق تطلق في كل حال، بل في طهرٍ لم يجامعها فيه(١)، ثم تلبث الزوجة في بيتها عند زوجها مدة العدة (ثلاثة قروء، أو حتى تضع حملها)، ولها أن تتزين له، شأنها شأن الزوجة مع زوجها، وتجب عليه النفقة، ويرث كل واحد منهما الآخر، فإن رجع الزوج قبل تمام العدة كتبت طلقة، ولم يحصل الطلاق، وإنَّ أصر على الطلاق وتمت العدة ينفذ الطلاق، وتغادر المرأة بيت زوجها، وله أن يراجعها بعد ذلك، بعقد جديد، إن كان بعد الطلقة الأولى أو الثانية.

٤-ترهيب الزوج من الإضرار بالزوجة أو إمساكها للإضرار بها.

٥-منع ولي الزوجة عضل موليته، وعدم منعها من الرجوع إلى زوجها إذا رغبت في ذلك.

---

(١) فإن خالف الزوج أثم، وفي وقوع خلاف بين العلماء.

٦-ومن تكريم الله للمرأة التأكيد على أن تكون العلاقة بين الزوجين قبل الطلاق وبعده مبنية على الإحسان فقال سبحانه: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾، وقال: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾، بل شرع الله أمراً يكون خاتمة حسنة لفراق الزوجين، وذلك بأن يهب الزوج لطليقته متاعاً حسناً ونحلةً، تليق بما وسع الله عليه من الرزق، فقال: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾.

٧- حفاوة الله بشأن نفقة المرأة المطلقة، فالمطلقة الحامل تجب لها النفقة حتى تضع حملها، وكذلك في حال الرضاعة حتى انقضاء مدة الرضاعة، وأكد الله أمر سكنها وأن يكون نحو من سكن الزوج فقال: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ [الطلاق:٦][(١)].

(١) تفسير الطبري، (٢٣/٥٩)

الفصل الرابع: جمال تكريم إنسانية المرأة أماً.

أولاً: ذكر أم موسى عليهما السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص:١٣].

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١. كرامة أم موسى عند الله، ولطفه بها، وربطه على قلبها، وفاء الله بوعده لها وجعل عينها تقر برجوع ولدها.

٢. أم موسى من النساء التي خاطبها مَلَك من الملائكة، دون أن يذكر الله أحداً من رجال خاطبه ملكٌ، إلا من اختراه الله من أنبيائه.

ثانياً: ذكر امرأة عمرآن (أم مريم) عليهما السلام:

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ

إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَاب﴾[آل عمران:٣٧].

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١. كرامة أم عمران عند الله وشعورها بقرب الله منه.

٢. تكريم المرأة في تفريق امرأة عمران بين الذكر والأنثى، فحين عزمت أن تجعل مولدها خالصاً لوجه الله، محرراً لخدمة دينه وخدمة بيته، فلما تفاجأت أن مولدها أنثى، قالت: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾،

وفي هذه الكلمة تأكيد على الفرق بينهما، وفيه إشارة منها أن الأنثى لا تقوم بدور الذكر، وكذلك العكس، فلا يقوم الذكر بدور الأنثى، ومن جمال تعبيرها أنها لم تقل: (الأنثى أضعف من الذكر) أو (الأنثى أقل شأناً من الذكر)، وإنما قررت الاختلاف بينهما فقط.

ثالثاً: ذكر قصة مريم (أم عيسى) عليهما السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاَمًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا كُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[مريم:٢٨]

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١- كرامة مريم عند الله وعلو شأنها، وأن جعلها وابنها عيسى عليه السلام آية للعالمين.

٢- مريم من النساء التي خاطبها مَلَك من الملائكة، دون أن يذكر الله أحداً من رجال خاطبه ملك إلا من اختراه الله من أنبيائه

رابعاً: ذكر أدعية الأنبياء التي تضمنت دعاءً للأمهاتهم:

ذكر الله تعالى دعاء نوح عليه السلام حيث: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح:٢٨].

وذكر الله تعالى دعاء إبراهيم عليه السلام حيث: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم:٤١].

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

- جعل الدعاء للوالدين المتضمن الدعاء للأم من أجمل صور الوفاء.

خامساً: ذكر من وصف من الأنبياء بالبر المتضمن بر والدته:

قال الله تعالى عن يوسف عليه السلام ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف:١٠٠]،

وذكر تعالى أن يحيى عليه السلام وصف نفسه فقال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم:١٤]، وأن عيسى عليه السلام وصف نفسه فقال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم:٣٢]،

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١- جعل الله بر الوالدين المتضمن لبر الأم من أجمل الصفات، التي يفعلها أصفياء الله وانبيائه.

٢- جعل الله بر الوالدين المتضمن لبر الأم من أجمل الصفات التي يمتدح بها العظماء أنفسهم.

سادساً: ذكر الأمر ببر الوالدين والإحسان إليهما:

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء:٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِير وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون﴾[لقمان:١٥]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِين﴾[الأحقاف:١٥].

وفي هذا من أوجه التكريم ما يلي:

١-من جلال تكريم الله للأم أن قرن الأمر ببر الوالدين (المتضمن لبرها) بالأمر بتوحيده وعبادته، وذلك في قوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

٢-وحسن تكريم الوالدين الأمر بالعناية بهما عند الكبر، في قوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾، وتحريم أدنى كلمة توحي لهم بالتأفف.

٣-من جمال تكريم الأم (ما تضمنه الأمر ببر الوالدين) في قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾، وقوله: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾، وقوله: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا

مَعْرُوفًا﴾، وذلك كون بالمعروف وهو تعبيرٌ يعم كل برٍ وصلةٍ، وخلق جميل، والحلم والاحتمال، وما يقتضيه مكارم الأخلاق، ومعالي الشيم مما يعرفه الأبن، فلا تختص بشيء محدد، ولا ينحصر بأمر لا يتعداه(١)

٤- ومن تكريم الوالدين الدعاء لهما بطلب الرحمة لهما من الله ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ وفي هذا إشارة لطيفة للابن بأنه عاجز رد جميهما عن القيام بما يجب، فعليه أن يطلب ذلك من الله.

٥-من جمال تكريم الله للأم أن الله ذكَّر الأبناء بما عانته في حملها من تعبٍ وشدةٍ، وذلك لكيلا يعتقد الأبن بأن بره بأمه تبرعاً أو مزيد إحسان، بل هو رد لبعض معروفها عليهم، وذلك في قوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وهْناً عَلىٰ وهْنٍ﴾ أي: ضعفاً على ضعف، وشدةً بعد شدة، وهي آلام وأتعاب الحمل والطلق والولادة والإرضاع، فلهذا تأكدَّ برُّها فوق برِّ الوالد(٢)

٦- ومن أعجب ما في تكريم الأب والأم أن الله يأمر بصلتهما بالبر وإن كانا كافرين، بل وإن سعيا بالكفر بالله والشرك به، ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾.(٣)

(١) فتح البيان للقنوجي- صديق خان

(٢) وينظر أيسر التفاسير، ٤/٢٠٥، أبو بكر الجزائري

(٣) ففي الحديث أن رجلٌ جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: من أحقُّ النَّاس بحسن صحابتي؟ قال: أُمُّك قال: ثمَّ من؟ قال: ثُمَّ أُمُّك قال: ثمَّ من؟ قال: ثُمَّ أمّك قال: ثمَّ من؟ قال: ثمَّ أبوك. رواه البخاري، ٥٩٧١، ومسلم، ٢٥٤٥.

الخاتمة

النتائج:

١- جمال هدايات القرآن فإنه تشريع: رباني، مثالي، واقعي، تكاملي.

٢- جمال تكريم إنسانية المرأة في ضوء هدايات القرآن

ظهرت في الجوانب التالية:

- جمال تكريم المرأة بوجه عام.
- جمال تكريم المرأة بنتاً وأختاً.
- جمال تكريم إنسانية المرأة زوجةً.
- جمال تكريم إنسانية المرأة أماً.

التوصيات:

١. دراسة آثار جمال الهدايات القرآنية على سلوك أفراد المجتمع المسلم.

٢. دراسة تكامل هدايات القرآنية المتعلقة بالأسرة.

٣. دراسة الهدايات القرآنية في موضوع الطلاق دراسة جمالية نفسية.

المصادر والمراجع

١. أسباب نزول القرآن، المؤلف: علي الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام الحميدان، الناشر: دار الإصلاح، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م

٢. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المؤلف: جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

٣. التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: ابن جزي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ

٤. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، مصر الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٥. تفسير القرآن العظيم، المؤلف: ابن كثير، المحقق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

٦. تفسير الماوردي (النكت والعيون) المؤلف: علي الماوردي (ت ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم - الناشر: دار الكتب العلمية.

٧. التفسير الميسر، المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م

٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسال، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

٩. الجامع لأحكام القرآن المؤلف: القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

١٠. سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥ م

١١. سيماء الانوثة، نظرة شرعية تاريخية، المؤلف: مجموعة إيوان (سارة النوري- منيرة الذكير – أسماء الشطي- مها المنيع- فاطمة سامي)، الطبعة الأولى ١٤٤٢هـ
١٢. علم الجمال، غازي الخالدي، الناشر وزارة الثقافة ١٩٩٩م- دمشق
١٣. فتح البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: صديق حسن خان القنوجي، المحقق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ.
١٤. القاموس المحيط للفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
١٥. قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، دارسة نقدية في ضوء الإسلام المؤلف: د فؤاد عبد الكريم العبد الكريم، الرياض ١٤٢٩هـ، الطبعة الأولى.
١٦. كتاب انثى تشكر الإسلام، د محمد بن محمود بن حامد السيد، لطبعة السادسة، الرياض،١٤٤٤هـ الناشر: دار الحضارة
١٧. لسان العرب، المؤلف: ابن منظور (ت ٧١١هـ) الناشر: دار صادر بالطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ
١٨. مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين الرازي (ت ٦٦٦هـ) - المحقق: يوسف الشيخ محمدالناشر: المكتبة العصرية الدار النموذجية، بيروت الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
١٩. المعجم المفصّل في الأدب؛ المؤلف: لمحمد التونجي، الناشر دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ، الطبعة الثانية.
٢٠. مقدّمة في علم الجَمال؛ المؤلف: أميرة حلمي مطر، القاهرة، دار الثقافة
٢١. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم المؤلف: محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضليه، الناشر : دار القلم للنشر والتوزيع - الطبعة : طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
المدخل	٤
جمال تكريم إنسانية المرأة من خلال هدايات القرآن الكريم الفصل الأول: جمال تكريم إنسانية المرأة بوجه عام	٩
الفصل الثاني: جمال تكريم إنسانية المرأة بنتاً وأختاً.	١٣
الفصل الثالث: جمال تكريم إنسانية المرأة زوجةً.	١٧
الفصل الرابع: جمال تكريم إنسانية المرأة أماً.	٢٦
الخاتمة	٣١
المراجع	٣٢
الفهرس	٣٤